الالتفات في كتاب (الجامع الكبير) لضياء الدين بن الاثير

Attention in the book (The Great Mosque) by Dia Al-Din bin Al-Atheer

محمد نبيل محمود
د. صالح علي شيخ علي
جامعة الموصل/ كلية التربية للعلوم الانسانية/ قسم اللغة العربية

Mohammed Nabil Mahmood
Dr. Saleh Ali Sheikh Ali
University of Mosul/ College of Education for Human Sciences/ Department of Arabic language

muhammedaljalili@gmail.com
Salih_alsheikh@uomosul.edu.iq

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
٢٠٢١/٦/١٥	٢٠٢١/٧/١١

الكلمات المفتاحية: العدول– الجامع الكبير– ابن الأثير.

Keywords: al-adol - al-jamaa al-kabeer - ibn al-atheer .

الملخص

١. إنّ مفهوم الالتفات عند ابن الأثير تجاوز صيغ الكلام (التكلم والخطاب والغيبة) إلى مفهوم اوسع ليشمل الانتقال بين صيغ الافعال وبين صيغ الافراد والتثنية والجمع.
٢. إنّ الغرض من الالتفات لايقتصر على تنشيط فكر السامع بل له فوائد اخرى .
٣. تأثر ابن الاثير كثيرا بالزمخشري، فقد كان حريصا على الاقتباس من الكشاف .
٤. يعد القران الكريم أساساً في دراسة هذا الاسلوب، لذا كثرت الشواهد منه .
٥. هذا الاسلوب يدل على ثراء اللغة وسعتها .

Abstract

1. The concept of attention according to Ibn al-Atheer went beyond the forms of speech (talk, discourse, and backbiting) to a broader concept to include the transition between verb forms and between singular, dual and plural forms.
2. The purpose of paying attention is not limited to stimulating the mind of the listener, but it has other benefits.
3. Ibn al-Atheer was greatly influenced by al-Zamakhshari, as he was keen on quoting from al-Kashshaf.
4. The Noble Qur'an is the basis for studying this method, so the evidence for it abounded.
5. This method indicates the richness and breadth of the language.

المقدمـــة

الحمد لله الذي علمّ بالقلم علم الانسان مالم يعلم، والصلاةّ والسلامّ على أشرف العرب والعجم سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أولي النهى والحلم والكرم.

الالتفات أسلوبٌ بليغ يجعل فكر السامع مشحوذاً، وينشط عقله وخياله لفهم مرامي الصورة الالتفاتية، وقد حاول ابن الاثير –رحمه الله – (ت٦٣٧هـ) أن يبين ان لهذا الاسلوب اغراضاً مقصودةً ينبغي الوقوف عليها فهو لا يرد لمجرد إكساب المعنى زخرفاً وطلاوةً، وابن الاثير في كتابه (الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور) يأخذ بيدي القارئ وفكره إلى مسرح الحدث ليعيشه ويفهم اسراره .

والالتفات اسلوبٌ يُحدِث في النظم بلاغة ودقة وجمالا، وهو من صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر[١]، وقد جعله السكاكيُّ (ت٦٢٦هـ) في علم المعاني وبحثه في أحوال المسند إليه، وصرّح أنه لا يختصُّ بالمسند إليه، ومشى على هذا القزويني (ت٧٣٩هـ) وشرّاح التلخيص[٢]، وعدَّه آخرون من المحسّنات البديعية كابن الزملكاني (ت٦٦٥١هـ) وابن ابي الاصبع المصري (ت٦٥٤هـ)[٣] وابن حجّة الحموي (ت٨٣٧هـ)[١].

---

(١) ينظر: من بلاغة النظم العربي للدكتور عبد العزيز عبد المعطي عرفة: ٢٠١/١، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

(٢) ينظر: مفتاح العلوم ليوسف بن ابي بكر السكاكي: ٢٩٦، تحقيق: الدكتور عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م ؛ وينظر: الايضاح في علوم البلاغة لمحمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني: ٦٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠١٠م؛ وينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين احمد بن علي السبكي، ٢٧٢/١، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، ط١، ٢٠٠٣م ؛ وينظر: المطوّل في شرح تلخيص مفتاح العلوم لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني: ٢٨٦، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠١٣م ؛ وينظر: شرح عقود الجمان في المعاني والبيان لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي: ٩٢، تحقيق: الدكتور ابراهيم محمد الحمداني والدكتور امين لقمان الحبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١١م.

(٣) هو ابو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد المصري المعروف بابن ابي الإصبع، ولد بمصر سنة (٥٨٥هـ) وهو من أئمة البلاغة فيها، له تصانيف دالة على وفور علمه منها (تحرير التجبير) و (بديع القران) و (الخواطر السوانح في اسرار الفواتح)، وكان

الالتفات لغة واصطلاحاً

الالتفات في اللغة من اللّفت وهو الصرْف، يقال: ما لفتك عن فلان؟ أي ما صرفك عنه؟ واللفتُ: ليُّ الشيءَ عن جهته، كما يقبضُ الرجلُ على عنقِ إنسان فيلفِتَه، ويقال: لفتَ الرجلُ وجهه عن القومِ إذا صرَفَه عنهم، والتفتَ إليه التفاتا أقبل بوجهه إليه، ولَفَتُّ فلانا عن رأيه أي صرفته عنه، والتلفّت أكثر من الالتفات يقال: تلفَّتَ إلى الشيء أي صرف وجهه إليه[٢].

وعرّف ابن الأثير الالتفات بإيجاز وبيّن الغاية منه في الجامع الكبير قائلا: ((الالتفات الرجوع من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة، يفعل ذلك على عادة العرب في افتنانهم في الكلام، وفيه فوائد كثيرة ؛ لأنّ الكلام اذا نقل من اسلوب إلى اسلوب كان أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على اسلوب واحد وليس يفعل ذلك اتساعا بل لأمر أعلى ومهمّ من الغرض اعنى))[٣].

وبيّن في مثله السائر العلاقة بين المعنى الاصطلاحي واللغوي مع تعريف أكثر تحديدا إذ قال: ((وحقيقته مأخوذة من التفات الانسان عن يمينه وشماله فهو يُقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصّة ؛ لأنّه يُنتقلُ فيه من صيغة إلى صيغة كانتقال من خطابٍ حاضرٍ إلى غائبٍ أو من خطاب غائب إلى حاضر أو من فعلٍ ماضٍ إلى مستقبل إلى ماض أو غير ذلك))[٤].

شاعرا مجيدا، توفي بمصر سنة (٦٥٤هـ)، ينظر: الاعلام لخير الدين محمود بن محمد الزركلي، ٣٠/٤، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م .

(١) هو تقي الدين ابو بكر بن علي بن عبد الله بن حجة الحموي من أهل حماة، امام اهل الادب في عصره، شاعر مجيد، زار القاهرة والتقى بعلمائها، وكان يظهر سرقات الشعراء، من تصانيفه (خزانة الادب وغاية الارب) و(ثمرات الاوراق)، (ينظر: شذرات الذهب في اخبار من ذهب لابن العماد بن الحي بن احمد الحنبلي ٣١٩/٩، تحقيق محمود الارناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٩٨٦م.

(٢) ينظر: لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور: مادة (لفت) ٨٤/٢، دار: ادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

(٣) ٩٨، تحقيق: الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٦م .

(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ١٦٧/٢، تحقيق: الدكتور احمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، د، ت.

اضرب الالتفات

جعل ابن الأثير الالتفات في (الجامع الكبير) ثلاثة أضرب [١]:-

- **الأول:** الرجوع من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة.
- **الثاني:** الرجوع من الفعل المستقبل (المضارع) إلى فعل الامر.
- **الثالث:** الرجوع من خطاب التثنية إلى خطاب الجمع.

ولم يذكر ابن الأثير الرجوع من الفعل الماضي إلى المضارع وبالعكس، بل بحثه بشكل مستقلّ بعد الالتفات تحت عنوان (في الإخبار عن الفعل الماضي بالمضارع وعن الفعل المضارع بالماضي)، والأمثلة التي عرضها هناك بعضها فيها التفات بحصول الانتقال من صيغة إلى أخرى وبعضها ليس كذلك[٢]، وقد أعاد النظر في ذلك في (المثل السائر) فأدرج ما كان فيه الالتفات ضمن أضرب الالتفات[٣]، وهذا الصواب ؛ لأنه عدّ الانتقال من المضارع إلى الأمر التفاتا في جامعه، فيقاس عليه كل انتقال بين صيغتين فعليتين.

أمّا (الرجوع من خطاب التثنية إلى خطاب الجمع) فذكره ابن الأثير في (الجامع الكبير) دون (المثل السائر)، وإدراجه في الالتفات يتناسب مع مفهومه له بأنه انتقال من صيغة إلى اخرى.

اختلاف البلاغيين في مفهوم الالتفات وشروطه:

الالتفات عند جمهور البلاغيين ينحصر في التعبير عن المعنى بأحد الطرق الثلاثة (التكلم والخطاب والغيبة) بعد التعبير عنه بأحد تلك الطرق، أي أنْ يُبدأ فيه بأحد طرق التعبير ثم يحصل الانتقال إلى طريق آخر، ولا يدخل عندهم الانتقال بين صيغ الأفعال أو بين صيغ الإفراد والتثنية والجمع في الالتفات خلافا لابن الأثير- رحمه الله- فهو يدخل جميع ذلك ضمن الالتفات، وقد تأثّر يحيى بن حمزة العلويّ (ت٧٤٥هـ) برأيه، ورجّح مفهومه للالتفات على ما ذهب إليه الجمهور[٤].

---

(١) ٩٨-١٠١.

(٢) ينظر: الجامع الكبير: ١٠٢.

(٣) ينظر: ١٦٧/٢-١٨١.

(٤) ينظر: البرهان في وجوه البيان لاسحق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب: ١٥٦، تحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثة، بغداد، ١٩٦٧م؛ وينظر: مفتاح العلوم: ٢٩٦، وينظر: الايضاح: ٦٧؛ وينظر: عروس الافراح ٢٧٢/١؛ وينظر: المطوّل: ٢٨٦؛ وينظر: الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الايجاز ليحيى بن حمزة العلوي: ٢٦٥، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

ويرى الدكتور محمد محمد ابو موسى أنّ الاختلاف في حدّ الالتفات بقصره على ما يراه الجمهور أو تضمينه الانتقال بين صيغ الأفعال مسألة اصطلاحية لا يترتّب عليها كبير أثر، لذا ينبغي الانصراف إلى تحليل الصور والبحث في اسرارها للتعرف على دقائق خطرات المعاني وراء أحوال الصياغة(١).

ويشترط في الالتفات تحقق (الانتقال) من صيغة إلى أخرى، وهذا ما يقول به ابن الأثير والجمهور، فلا ينشأ الالتفات في ابتداء الكلام لانعدام الانتقال، وعلى هذا فهو لا يكون الا في جملتين مستقلتين، وصرّح بذلك بهاء الدين السبكي(ت٧٧٣هـ)، وذكر مثاله السيوطيّ (ت٧١١هـ) في (شرح عقود الجمان) ونسباه إلى الزمخشري (ت٥٣٨هـ) في الكشاف دون الإشارة إلى موضعه(٢)، وقال محققا (شرح عقود الجمان) الدكتور ابراهيم محمد الحمداني والدكتور أمين لقمان الحبّار ((لم نجد هذا القول في الكشّاف))(٣).

وللسكاكيّ مفهوم آخر للالتفات فهو لا يشترط الانتقال من صيغة إلى أخرى كما هو عند الجمهور، بل يتحقق الالتفات بالتعبير عن المعنى بأحدِ الطرق الثلاثة السابقة (التكلم والخطاب والغيبة) تعبيرا خارجا على مقتضى الظاهر، نحو قول الرجلِ وهو يخاطب نفسه ويلومها: ويحكِ ما فعلتِ، والالتفات هنا في بداية الكلام، لذا يجوز أن ينشأ عنده من جملة واحدة، ولا يُعدُّ هذا التفاتا عند الجمهور، فكل التفات عند الجمهور التفات عند السكاكي ولا عكس(٤).

ويشترط الجمهور أن يكون التعبير الثاني على خلافِ ما يقتضيه الظاهر ويترقبه السامع، لذا فلا يدخل في معنى الالتفات قول القائل (أنا زيد) و(أنت عمرو) و(نحن الذون صبحوا الصباحا)(٥) رغم حصول الانتقال بين المبتدأ والخبر من صيغة إلى اخرى كما بيّنه الدكتور عبد العزيز عبد المعطي عرفة فالمبتدأ (أنا) و (نحن) صيغة تكلم و(أنت) صيغة

---

(١) ينظر: خصائص التراكيب: ٢٦٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٤، ١٩٩٦م.

(٢) ينظر: عروس الافراح: ٢٧٤/١ ؛ شرح عقود الجمان: ٩٣.

(٣)٩٣، هامش رقم (١).

(٤) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٩٦ والايضاح: ٦٧ ؛ ونهاية الايجاز في دراية الاعجاز لفخر الدين محمد بن عمر الرازي: مطبعة الاداب، القاهرة، ١٣١٧هـ، وخصائص التراكيب: ٢٥١.

(٥) شطر بيت شعري وتمامه: **يوم النخيل غارة ملحاحا**

واختلف في نسبة هذا البيت الى قائله فقيل هو لرجل جاهلي من بني عقيل اسمه ابو حربٍ الأعلم وقيل هو لليلى الاخيلية وقيل غير ذلك (ينظر: النوادر لأبي زيد سعيد بن أوس: ٤٧، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٦٧م، وديوان ليلى الاخيلية: ٦١، جمع وتحقيق خليل ابراهيم العطية وجليل ابراهيم العطية، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٧م.

خطاب، والخبر في الثلاثة اسماء ظاهرة وهي على الرأي المشهور عند البلاغيين صيغة غيبة (زيد) و(عمرو) و(الذون)[١]، فهذه الجمل ليس فيها التفات لأنّ التعبير الثاني (وهو الخبر هنا) مما يقتضيه ظاهر الكلام ويترقّبه السامع ؛ لأن المتكلم اذا قال: أنا وأنت ونحن ترقّب السامع أن يأتي المتكلّم بعده بالاسم الظاهر خبرا عنه ؛ لأنّ الإخبار عن الضمير كثيرا ما يكون بالاسم الظاهر[٢].

ولم يصرّح ابن الأثير بهذا الشرط لكنّه مفهومٌ ضمنا من خلال ما عرضه من أمثلة الالتفات.

ويرى الدكتور عبد العزيز عبد المعطي عرفة بأنّ الالتفات إذا حصل في لفظ ثم عطف عليه بنفس الصيغة فالمعطوف لا يعدّ التفاتا لأن التعبير جاء على مقتضى الظاهر، فقوله تعالى في سورة الفاتحة (إياك نعبد) التفات وهو بصيغة الخطاب لأنّ الآيات قبلها كانت بصيغة الغيبة، لكن قوله بعد ذلك (وإياك نستعين) لا يعدّ التفاتا لأنه جرى على مقتضى الظاهر فهو بصيغة الخطاب كسابقه[٣]. وهذا لا يمنع تقوية معنى الالتفات في اللفظ الأول.

وذكر السبكيّ أنّ شرط الالتفات أن يكون الضمير في المنتقَل إليه عائدا في نفس الأمر إلى الملتفَت عنه، فالكاف مثلاً في (إياك نعبد) عائدة إلى لفظ الجلالة في (الحمد لله)[٤].

ويرى الدكتور احمد مطلوب أنه ليس في كتب البلاغة أوسع ممّا ذكره ابن الأثير عن الالتفات[٥]، بيد انه تأثّر كثيرا بالزمخشري في هذا الموضوع، ونقل من كشافه، وقد فصّل الدكتور محمد محمد ابو موسى مواضع نقله من الكشاف في كتابه (البلاغة القرانية في تفسير الزمخشري)[٦].

---

(١) الأمثلة التي يستشهد بها البلاغيون على صيغة الغيبة لا تقتصر على ما فيه (ضمير غيبة) بل ذكروا ما فيه اسم ظاهر نحو (الحمد لله) في الفاتحة مثلا، ويرى بهاء الدين السبكي، أن الاسم الظاهر اذا لم يكن فيه ضمير غائب أو مستتر فلا يعدّ اسلوب غيبة (ينظر: عروس الافراح ٢٨٢/١).

(٢) ينظر: من بلاغة النظم العربي ٢٠٢/١.

(٣) ينظر: من بلاغة النظم العربي: ٢٠٢/١.

(٤) ينظر: عروس الافراح: ٢٧٧/١.

(٥) معجم المصطلحات البلاغية للدكتور احمد مطلوب: ٣٠٢/١، الدار العربية، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.

(٦) ينظر: ٥٤١.

وذكر ابن الأثير– رحمه الله– في مثله السائر أن الزمخشري اقتصر في بيان الغرض من الالتفات على تطرية نشاط السامع والإيقاظ للإصغاء إليه دون ذكر ما للالتفات من فوائد بلاغية[١]، والواقع خلاف ما ذكر– رحمه الله– فإن الزمخشري صرّح في كشافه في أول حديثه عن الالتفات في سورة الفاتحة بأن مواقع الالتفات قد تختصّ بفوائد، وكان كلما أتى على موقع منها يبين فائدة الالتفات فيه، بل إنّ ابن الأثير رجع إليه فيما ذكره من فوائد الالتفات، وسيتّضّح هذا عند عرض الأمثلة التي أوردها[٢].

١– الانتقال من الغيبة إلى الخطاب:

نحو قوله تعالى في سورة الفاتحة ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[٣]، ففي هذه السورة المباركة ذكر ابن الأثير التفاتين الاول من الغيبة في قوله (الحمد لله) إلى الخطاب في قوله (إياك نعبدُ)، والالتفات الثاني من الخطاب في قوله (صراط الذين انعمت عليهم) إلى الغيبة في قوله (غير المغضوب عليهم)، وبحث ابن الأثير– رحمه الله– الالتفاتين في نفس الموضع رغم أن حديثه عن (الانتقال من الغيبة إلى الخطاب)، ولعلّ الذي شجّعه على ذلك كون الصورتين من الالتفات في سورة واحدة[٤].

والحديث هنا عن الصورة الاولى، حيث ذكر أن السورة ابتدأت بالحمد لمن هو حقيقٌ بالحمد وهو الله تعالى، ثم صفاته الجليلة من الربوبية العامة والملك العظيم، فتعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن، حقيقٍ بالخضوع له والاستعانة به في المهمّات، فخوطب ذلك المعلوم الموصوف بتلك الصفات فقيل: اياك نعبدُ يامن هذه صفاته واياك نستعين، أي نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون الخطاب أدلَّ على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به، وما ذكره ابن الأثير نقله من الكشاف[٥]، ثم بيّن أنّ الالتفات هنا ليس لمجرد الاتساع إنما جاء لفائدة حسنة، وذلك ان الحمد لله دون العبادة، لان الحمد يكون تارة لله تعالى وتارة للخلق بخلاف العبادة التي لا تكون إلا لله ؛ ولِذا قد يحمدُ الرجلُ نظيره لكنه لا يعبده، فلما كان الحال كذلك جاء الحمدُ مع ما يدل على الغيبة وهو الاسم الظاهر (لله) ولم يقل (لك)

---

(١) ينظر: المثل السائر: ١٦٩/٢.

(٢) ينظر: المثل السائر: ١٦٩/٢ ؛ وينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لجار الله محمود بن عمرو الزمخشري ١٤/١، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

(٣) سورة الفاتحة: الآية ٢–٧.

(٤) ينظر: الجامع الكبير: ٩٩.

(٥) ينظر: الكشاف: ١٤/١.

ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى الطاعات قال (إياك نعبدُ)[١]، وهذه الفائدة اقتبسها ابن الأثير من كتاب (المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات) لابن جني[٢]، وتبع الطوفيُّ ابن الأثير وذكر هذا التأويل في كتابه (الاكسير)[٣]، لكن التأويل بأنّ الحمد يكون لله ولغيره بخلاف العبادة لذا عدل عن صيغة الخطاب فيه إلى الغيبة، تأويل فيه نظر، ولا يعينه نظم الايات ولا الغرض الذي سيقت من أجله، فالحمد في الآية مختصٌّ بالله تعالى، وقد بين ابن عاشور- رحمه الله- ان اللام في (الحمد) لتعريف الجنس وفي لفظ الجلالة (لله) للاختصاص، فحصل بمجموعهما اختصاص جنس الحمد به تعالى فتحقّق الاستغراق، وليس الاستغراق حاصل بمجرد وجود لام الجنس في الحمد، لأنها بمفردها ليست للاستغراق وهذا هو مذهب الزمخشري وذكر انه مذهب سيبويه- رحمه الله-[٤]، فرأى ابن عاشور أنّ وجود لام تعريف الجنس في (الحمد) ولام الاختصاص في (لله) يستلزم انحصار أفراد الحمد بالتعلّق باسم الله تعالى لأنه إذا اختصّ الجنس اختصّت الأفراد إذ لو تحقق فردٌ من أفراد الحمد لغير الله تعالى لما تم معنى اختصاص الجنس المستفاد من لام الاختصاص الداخلة على اسم الجلالة[٥]، ثم ذكر ان اسناد الحمد لاسم الذات (الله) إنما جاء تنبيها على استحقاقه الذاتي له، ثم عقّبه بالوصف بالربوبيّة ليكون الحمد متعلقا به ايضا لأن وصف المتعلّق متعلقٌ أيضا فلذلك لم يقل (الحمد لربّ العالمين) كما قال ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٦]، ليؤذن باستحقاقه الوصفي أيضا للحمد كما استحقّه بذاته وقد أجرى عليه اربعة أوصاف هي: ربّ العالمين، الرحمن، الرحيم، مالك يوم الدين، للإيذان بالاستحقاق الوصفي، فإنّ ذكر هذه الاسماء المشعرة بالصفات يؤذن بقصد ملاحظة معانيها الأصلية، وذِكرُ الموصوف وحده كافٍ في استحقاق الحمد وكذا ذكر الصفة وحدها، فلما جُمع بينهما في السورة دلّ على أن كُلاً من الموصوف والصفة جديرٌ بتعلّق الحمد لله سبحانه وتعالى[٧]، أما عن فائدة الالتفات فقد ذكر

(١) ينظر: الجامع الكبير: ٩٩ ؛ وينظر: المثل السائر: ١٧٠/٢.

(٢) ينظر: المحتسب: ١٦٤/١، لجنة احياء التراث، القاهرة، ١٩٩٩م.

(٣) ينظر: الاكسير في علم التفسير لسليمان بن عبد القوي الطوفي: ١٧٧، تحقيق: الدكتور عبد القادر حسين، مكتبة الاداب، القاهرة، ب، ت.

(٤) ينظر: الكشاف: ١٠/١.

(٥) ينظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المعروف اختصارا بـ (التحرير والتنوير): ١٥٩/١، الدار التونسية: تونس، ١٩٨٤م.

(٦) سورة المطففين: الآية ٦.

(٧) ينظر: التحرير والتنوير: ١٦٠/١.

ابن عاشور أن الحامد لما حمد الله تعالى ووصفه بعظيم الصفات بلغت به الفكرة منتهاها فتخيّل نفسه في حضرة الربوبية فخاطب ربَّهُ بالإقبال، ومما يزيد الالتفات وقعا في الآية أنه تخلّص من الثناء إلى الدعاء، ولا شكّ أن الدعاء تقتضي الخطاب[١]، ومن أنفَسِ ما قيل في فائدة الالتفات في الآية ما ذكره فضيلة الشيخ مصطفى بن أبي بكر الهرشمي (ت١٩٨٦م)- رحمه الله- وهو من علماء أربيل أنّ مناجاة الربّ سبحانه يقتضي تقديم صدقات قبلها، فاذا كانت مناجاة الرسول الكريم تقتضي تقديم صدقة كما قال سبحانه وتعالى ارشادا لنا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ ﴾[٢]، أي عمل خير أيّا كان من عبادة الله للتأهيل لمناجاة الرسول الكريم، فمناجاة الخالق تبارك وتعالى من باب اولى، لذا لابد من ابتغاء وسيلة من وسائل عبادته للترقي إلى مناجاته عز وجل، فأرشدنا سبحانه إلى قول ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ استعانة باسم ذاته وصفاته، وبعد هذه الاستعانة تأهّل العبد إلى حمده وشكره فأرشدنا تعالى إلى ذلك بقوله (الحمد لله رب العالمين) أي قولوا: الحمد لله رب العالمين، وبالحمد المتضمن للشكر على هذا الوجه تأهل العبد إلى مقام استدامة الثناء على الله تعالى، فأرشدنا إلى ذلك بقوله (الرحمن الرحيم مالك يوم الدين)، وبتلك الصدقات والمراقي أصبح العبد مؤهلا لمخاطبة الله تعالى فأرشدنا إلى ذلك بقوله (اياك نعبدُ وإياك نستعين)[٣].

وذكر ابن الأثير ايضا في الانتقال من الغيبة إلى الحضور قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴾[٤]، فالآية ابتدأت بصيغة الغيبة (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) ثم حصل الالتفات إلى الخطاب بقوله (لقد جئتم شيئا إدا) لزيادة التنكيل عليهم لأنهم اجترأوا على الله عز وجل وتعرّضوا لسخطه، وتنبيها لهم على عظم ما قالوه كما بيّنه ابن الاثير[٥]، وهو عينُ ما ذكره الزمخشري في الكشاف[٦].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١/١٧٩.

(٢) سورة المجادلة: الآية ١٢.

(٣) ينظر: النجم الزاهر للشيخ نكتل يونس كشمولة- رحمه الله-: ٧٤، والكتاب سيرة لحياة الشيخ مصطفى الهرشمي- رحمه الله- وقد ذكر فيه المؤلف نماذج من آرائه العلمية وفتاواه، وطبع بمطبعة الزهراء بالموصل (ط٢)، ١٩٨٨م.

(٤) سورة مريم: الآية ٨٩.

(٥) ينظر: الجامع الكبير: ٩٩.

(٦) ينظر: ٣/٤٥.

١- **الانتقال من الخطاب إلى الغيبة:**

فمن ذلك قوله تعالى في سورة الفاتحة ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[١]، فقال أولا (صراط الذين أنعمت عليهم) فصرّح بالخطاب لما ذكر النعمة ثم قال (غير المغضوب عليهم) بصيغة الغيبة ولم يقل (غير الذين غضبت عليهم)، قال ابن الاثير (لأنّ الأول موضع التقرب من الله بذكر نعمه، فلما صار إلى ذكر الغضب قال (غير المغضوب عليهم) فجاء باللفظ منحرفا عن ذكر الغضب فأسند النعمة إليه لفظا وزوى عنه ذكر الغضب تحسّنا ولطفا)[٢]، فمقام الدعاء الذي يتوسل به إلى استدرار رحمته تعالى يقتضي نسبة كلّ ما فيه لطف وكرم ورحمة اليه دون ما سوى ذلك، وما ذكره ابن الأثير- رحمه الله- من معنى الالتفات في الآية اقتبسه من كتاب (المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها) لابن جني[٣].

واعترض السبكي- رحمه الله- على من عدّ (غير المغضوب عليهم) من الالتفات، لأنّ (المغضوب) من فعلٍ مبنيّ للمفعول وفاعله لم يُذكر بالكليّة، فقوله (غير المغضوب عليهم) بعد صيغة الخطاب (أنعمت عليهم) لا يعدُّ التفاتا، وإنّ صحّ فينبغي على رأي السكاكيّ كما يقول السبكيّ جعلُ جميع الأفعال المبنيّة للمفعول التفاتا[٤].

وفي اعتراضه نظر، ففي الآية المذكورة انتقال فقوله: (غير المغضوب عليهم) اي غير الذين غُضب عليهم فهو انتقال إلى صيغة الغيبة بعد الخطاب ومجيء الاسم المغضوب (دون الفعل غُضب) للدلالة على ثبوت غضب الله تعالى عليهم، ولكن يقال: ليس كل ما بني للمفعول يعد التفاتاً بل ما تحقق فيه شرط الانتقال كالاية المذكورة.

ومن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُم فِى ٱلبَرِّ وَٱلبَحرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُم فِى ٱلفُلكِ وَجَرَينَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلمَوجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم أُحِيطَ بِهِم ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِن أَنجَيتَنَا مِن هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[٥]، فابتدأت الآية الكريمة بالخطاب (هو الذي يسيركم في البر والبحر) حتى حصل الانتقال إلى

(١) سورة الفاتحة: الآية ٦-٧.
(٢) الجامع الكبير: ٩٩.
(٣) ينظر: المحتسب: ١/١٦٤.
(٤) ينظر: عروس الافراح: ١/٢٨٢.
(٥) سورة يونس: الآية ٢٢.

الغيبة بقوله (وجرين بهم)، وفائدة هذا الالتفات كما ذكر ابن الأثير هي المبالغة كأنه تعالى ذكر لغيرهم حالهم ليعجّبهم منها كالمُخبر لهم، ويستدعي ذلك منهم الانكار عليهم والتقبيح، ولو استمرّ الكلام بصيغة الخطاب فقال (وجرين بكم بريحٍ طيبة وفرحتم بها) لذهبت تلك الفائدة التي انتجتها صيغة الغيبة[١]، وما ذكره ابن الأثير من فائدة الالتفات في هذه الآية اقتبسه من الكشاف[٢]. ويذكر هذا المعنى أيضا الدكتور محمد محمد ابو موسى ثم يضيف لطيفتين فيقول(وكأن نقل الحديث إلى الغيبة فيه معنى التشهير بهم وكأنه يروي قصتهم لغيرهم لأن هذه الطبائع العجيبة جديدةٌ بأن تذاع وتروى، ثم فيه لطيفة اخرى هي أنهم كانوا في مقام الخطاب كائنين في الفلك (كنتم في الفلك) فهم في مقام الشهود والوجود ثم لما جرت بهم الريح ذهبوا بعيدا عن مقام الخطاب فلائم هذه الحال طريق الغيبة)[٣].

ومن ذلك أيضا قوله ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴾[٤]، فهنا بدأت الآية الكريمة بصيغة الخطاب (إن هذه امتكم) ثم صُرِف الكلام إلى الغيبة (وتقطعوا أمرهم بينهم) التفاتا، قال ابن الأثير في الفائدة منه (كأنّه ينعى عليهم ما أفسدوه إلى قوم آخرين، ويقبّح عندهم ما فعلوه ويقول: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله فجعلوا أمر دينهم ما بينهم قطعا، وذلك تمثيلٌ لاختلافهم فيه وتباينهم، ثم توعّدهم بعد ذلك بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون فهو مجازيهم على ما فعلوا)[٥].

وهذه الفائدة اقتبسها ابن الأثير كذلك من كشاف الزمخشري، وهو– رحمه الله– لا يتصرّف فيما ينقله من غيره إلا قليلا[٦]، ويذكر هذا المعنى الدكتور محمد محمد ابو موسى ويضيف اليه اشارات اخرى فيقول ((وفي هذا الالتفات اشارة اخرى هي أنّ الله سبحانه ينصرف هن هذه الامة حين يتقطع أمرها بينها، وفيه أيضا أنها تغيب عن مشهد الحياة حين تنحرف عن القران))[٧].

---

(١) ينظر: الجامع الكبير: ١٠٠.
(٢) ينظر: الكشاف: ٣٣٨/٢.
(٣) خصائص التراكيب: ٢٥٤.
(٤) سورة الانبياء: الآية ٩٣.
(٥) الجامع الكبير: ١٠٠.
(٦) ينظر: الكشاف: ١٣٤/٣.
(٧) خصائص التراكيب: ٢٥٥.

٢- **الانتقال من التكلّم إلى الغيبة:**

لم يذكر ابن الأثير هذه الصورة من الالتفات في جامعه الكبير لكنه أورد آية عدّها من الصورة الثانية أي (الانتقال من الخطاب إلى الغيبة) وهي قوله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[١]، ولم يذكر هناك (الانتقال من التكلم إلى الغيبة) وهو يسمّى صيغة التكلم بـ(خطاب النفس)، وذكر العكس وهو (الانتقال من الغيبة إلى التكلم)[٢].

حيث يرى ابن الأثير أن الآية الكريمة ابتدأت بصيغة الخطاب ((قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم)) ثم انتقلت إلى الغيبة بقوله (فامنوا بالله ورسوله) بدلالة الهاء في (رسوله) فلم يقل: فآمنوا بالله وبي.

بيد أنّ خطاب النبي (ﷺ) الموجّه إلى الناس كافّة لم يتغير في التعبير الثاني لأنّه قال (فآمنوا)، فلم يحصل انتقال في صيغة الخطاب الذي هو شرط الالتفات، إنما حصل الانتقال من صيغة التكلّم عندما قال (إني رسول الله اليكم) حيث وردت بياء المتكلم إلى صيغة الغيبة بقوله (ورسوله) حيث وردت بهاء الغيبة، وتُمثّل بعض كتب البلاغة لهذه الصورة وهي (الانتقال من التكلم إلى الغيبة) بقوله تعالى ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾[٣]، حيث ابتدأت السورة بصيغة التكلم (إنا) ثم انتقلت إلى صيغة الغيبة بقوله (فصلّ لربك) ولم يقل: فصلّ لنا، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾[٤]، فبدأت الآية بالتكلم (قل) ثم انتقلت إلى الغيبة بقوله (من رحمة الله) ولم يقل (من رحمتي)[٥].

أما الآية التي أوردها ابن الأثير- رحمه الله- فقد عدّ ابن عاشور الالتفات فيها من التكلم إلى الغيبة حيث قال: ((وفي قوله "ورسوله النبي الامّي" التفاتٌ من التكلّم إلى الغيبة

---

(١) سورة الاعراف: الآية ١٥٨.

(٢) ينظر: الجامع الكبير: ١٠٠ ؛ وينظر: المثل السائر: ١٧١/٢-١٧٩.

(٣) سورة الكوثر: الآية ١-٣.

(٤) سورة الزمر: الآية ٥٣.

(٥) ينظر: من بلاغة النظم العربي: ٢٠٣/١ ؛ وينظر: خصائص التراكيب: ٢٥٢ ؛ وينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: للسيد احمد الهاشمي: ٢٠٨، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م .

لقصد إعلان تحقّق الصفة الموعود بها في التوراة في شخص محمد (ﷺ)))[١]، والى مثل رأيه ذهب الدكتور محمد محمد ابو موسى[٢].

وفائدة الالتفات في آية الاعراف والتي انتقل الكلام فيها من صيغة التكلم (إني رسول الله) إلى الغيبة (ورسوله) هي لجريان صفة الرسالة وما ذكر بعدها من النبوة والأميّة على شخص الرسول محمد (ﷺ) وأيضا ليُعلم أن الذي وجب الايمان به واتباعه هو ذلك الشخص المستقل الموصوف بهذه الصفات الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان سواء محمد (ﷺ) أم غيره، وهذا غرضٌ دعويٌّ مطلوب إظهارا للصفة وبُعدا عن التعصب لنفسه، فقرّر أولا في صدر الآية أنّه رسولٌ إلى الناس جميعا فأثبت ذلك المعنى في انفسهم ثم أخرج كلامه من التكلم

(او الخطاب كما يقول ابن الاثير) إلى معرض الغيبة لما مرّ ذكره[٣].

وهذه الفائدة مقتبسة من كشاف الزمخشري– رحمه الله– وظاهر عبارته يشير إلى أنّ الالتفات في الآية من التكلم إلى الغيبة حيث قال (فإنْ قلتَ: هلا قيل: فآمنوا بالله وبي بعد قوله: إني رسول الله اليكم؟ قلتُ: عدل عن المضمر إلى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه، ولما في مزية الالتفات من البلاغة)[٤] وذكر من فائدة الالتفات ما سبق الكلام عليه.

ولم يذكر ابن الأثير في الالتفات (الانتقال من صيغة الخطاب إلى التكلّم)[٥].

٣- الانتقال من الفعل الماضي إلى الفعل المضارع:

---

(١) التحرير والتنوير: ١٤١/٩.

(٢) ينظر: خصائص التراكيب: ٢٥٢.

(٣) ينظر: الجامع الكبير: ١٠٠.

(٤) الكشاف: ١٦٧/٢.

(٥) ومثاله قول علقمة بن عبدة العجلي يمدح الحارث بن جبلّة الغساني:

طحا بك قلبٌ في الحسان طروبُ بُعيدَ الشبابِ عصر حان مشيبُ

تكلّفني ليلى وقد شطَّ وليّها وعادت عواد بيننا وخُطوبُ

ومعنى طحا: ذهب، وبُعيد: تصغير بعد، وإنما: غّره للإشارة الى أنّ ذلك الوقت قريب من عنفوان الشباب، وفي تصغيره أيضا ادّعاء القرب من الشباب.

والشاهد فيه: أنّ الشاعر التفت في قوله (تكلّفني) عن قوله (بك) من الخطاب الى التكلّم، والأصل (تكلفك).

ينظر: ديوان علقمة بن عّبدة (علقمة الفحل): ٩، تحقيق: السيد احمد: قر، المطبعة المحمودية، القاهرة، ط١، ١٩٣٥م ؛ وينظر: من بلاغة النظم العربي: ٢٠٤/١.

لم يذكر ابن الأثير هذه الصورة ضمن أضرب الالتفات، بل ذكر موضوعا بعد الالتفات حول (الإخبار عن الفعل الماضي بالمضارع وعن الفعل المضارع بالماضي)، وعرض أمثلة بعضها فيها إلتفات لتحقّق شروط الالتفات فيها كالانتقال من اسلوب إلى آخر في جملتين مستقلتين، وبعضها ليس فيها ذلك، وإنما هو تعبير بأحد الصيغتين عن الاخرى، أو بعبارة اخرى ضُمّنت إحدى الصيغتين معنى الصيغة الاخرى.

وهذا الاستعمال للأفعال لطيف المأخذ دقيق المغزى كما يقول ابن الأثير(١)، حيث بيّن أنّ الإخبار بالفعل المضارع عن الماضي إنما يكون لاستحضار الصورة الماضية في الذهن؛ لأنّ الفعل المضارع يوضّح الحال التي يقع فيها حتى كأنّ السامع يشاهدها لذا كان الاخبار بالمضارع عن وجود الفعل أبلغ من الاخبار بالماضي، نحو قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾(٢)، فجاء أولا بالأفعال ماضية (أرسل) و (فسقناه) ثم انتقل إلى المضارع (فتثير) ثم عاد إلى الماضي (فأحيينا) وبيّن ابن الأثير فائدة هذا التحوّل والانتقال بأنه عبارة عن حكاية الحال التي يقع فيها إثارة الريح للسحاب، واستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة، وهكذا يفعلون بكلّ فعل في تمييز وخصوصية بحالٍ تُستغربُ أو تُهِمُّ المخاطب أو غير ذلك، واستدلّ على طريقة العرب هذه بقول تأبّط شرّاً:

فإني لقيتُ الغولَ تهوي بسهبٍ كالصحيفةِ صحصحان
فأضربُها بلا دهشٍ فخرّت صريعا لليدينِ وللجِرانِ(٣).

والسهب هي الأرض المستوية والصحفة وجه الأرض والصحصحان الارض الواسعة التي لا نبت فيها وهي وصفٌ هنا للسهب، والدَهَش الذهول والفزع والجران: مقدّم العنق(٤).

فقال أولا (لقيتُ) بالماضي ثم انتقل إلى المضارع فقال (فأضربها) لأنّه قصد أن يصوّر لقومه الحال التي تشجّعُ فيها على ضرب الغول، كأنّه يبصّرهم إياها ويطلعهم على

---

(١) ينظر: الجامع الكبير: ١٠٢.

(٢) سورة فاطر: الآية ٩.

(٣) ينظر: ديوان تأبط شرّا بشرح علي ذو الفقار شاكر: ٢٢٤-٢٢٥، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، والبيتان من قصيدة مطلعها:

ألاَ من مُبلغٌ فتيان فَهْمٍ بما لاقيتُ عند رحى بِطانِ

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢٥.

كنهها مشاهدة للتعجيب من جرأته على ذلك الهول وثباته عند تلك الشدّة، ولو قال (فضربتها) لزالت هذه الفائدة المذكورة.

والفائدة وما ذكره ابن الأثير– رحمه الله– من الالتفات في الآية الكريمة وفي بيتَي تأبّط شرّا من كشّاف الزمخشري[١].

وذكر فخر الدين الرازي في تفسيره أنّ سبب إيراد فعل الارسال ماضيا هو كونه بمعنى التقدير فالله تعالى قدّر الارسال في الاوقات المعلومة، وكل ما هو مقدّرٌ فهو واجبُ الوقوع فجاء بلفظ الماضي لأجل ذلك، وكأنّه كان وفُرِغَ منه ونظير هذا قوله تعالى ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾[٢]، أما مجيء فعل الاثارة مضارعا مسندا إلى الريح فلأنه يؤلّف في زمان معيّن لذا قيل (فتثير) أي على هيئتها[٣].

وهذا التأويل فيه نظر، لأنّ فعل الإرسال والاثارة وما سواهما مقدّرٌ منذ الأزل، فالتقدير يمثّل علم الله تعالى المسبق بما سيكون ثم يَظهرُ هذا المقدّرُ في الوجود في الوقت الذي اراده الله له، لذا فإن ما عرضه الزمخشري وابن الأثير هو الاولى والارجح.

لكنْ وردت في القران آية اخرى نظير هذه الآية وذكر فيها فعل الارسال والإثارة بصيغة المضارع قال تعالى في سورة الروم ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾[٤]، فقال (يرسل) و (فتثير) كلاهما بصيغة المضارع، ولم يحصل الالتفات هنا، وذلك لأنّ هذه الآية بُنيت افعالها بصيغة المضارع (يرسل– تثير– يبسطه– يشاء– يجعله– ترى– يخرج– يستبشرون) والمضارع هذا دالٌ على الاستمرار التجدّدي ؛ لأنّ هذه الاحداث تتكرّر باستمرار، فالمشهد هنا حاضرٌ مشاهد بما يرونه من إرسال الرياح وإثارة السحاب وبما سيرونه في المستقبل فلا حاجة إلى الالتفات، وأما الفعل الماضي في الآية (أصاب) فمعناه الاستقبال لأنّه ورد بعد (اذا) الظرفية والتي هي ظرف لما يستقبل من الزمان، والغاية من صياغة الافعال بصيغة المضارع الدلالة على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى يوم البعث متى شاء جل في علاه، فكما أنه يحيي الارض الميتة كلّ حين وقت ما يشاء وإن كان الناس قبل نزول الغيث لآيسين فكذلك يكون احياؤهم يوم البعث، لذا قال بعد ذلك ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ

---

(١) ينظر: الكشاف: ٦٠١/٣.

(٢) سورة النحل: الآية ١.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب لمحمد بن عمر فخر الدين الرازي: ٢٢٥/٢٦، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

(٤) سورة الروم: الآية ٤٨.

رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[١].أما آية فاطر التي ورد فيها الالتفات فبنيت افعالها بصيغة الماضي (أرسل- سقناه- أحييبنا) وهو يدلّ على الاستمرار أيضا فهذه الأحداث ممّا تتكرّر باستمرار[٢]، لكنّ صياغة الأفعال بالماضي دون المضارع للدلالة على ما مضى من قدرة الله تعالى مما شاهدوه وتيقنّوا منه وشاهده آباءهم، كذلك فلا حجّة لمن عاين ذلك على انكار إحياء الموتى يوم البعث، ولاسيما والدلائل على قدرة الله تعالى على الأحياء تترى وتتكرّر، لذا قال بعدها ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾[٣]، أما آية الاثارة الواردة بصيغة المضارع فلاستحضار تلك الصورة الماضية وكأنّها مشاهدة ؛ كي تعيد النفوس المنكرة للبعث النظر وتتعظ وتقيس مالم تشاهده على ما شاهدته بما اكرمها الله تعالى من العقل وبهذا تتبيّن أهمية الالتفات في آية فاطر.

ومثل آية فاطر آية في سورة الانعام حصل الانتقال فيها من الماضي إلى المضارع، قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾[٤]، فبدأ الأسلوب، بالماضي (أنزل- أخرجنا) والماضي هنا وإن كان دالا على الاستمرار لأنّ هذه الاحداث تتكرّر إلا أن التعبير عدل إلى المضارع في قوله (نخرج منه حبا متراكبا)؛ لاستحضار هذه الصورة العجيبة في الذهن وكأنها مشاهدة، والحبّ المتراكب هو الملتصق بعضه على بعض في السنبلة مثل القمح وغيره، وصيغة التفاعل في لفظة (متراكبا) للمبالغة في ركوب بعضه بعضا[٥].

---

(١) سورة الروم: الآية ٥٠.

(٢) الفعل الماضي اذا دخلت عليه (كان) دلّ على الانقطاع أي أن الحدث حصل مرة واحدة ولم يتكرّر نحو (كنتُ كتبتُ رسالة) ونحو قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ الاحزاب/١٥.

أما اذا كان الماضي مجرّدا من (كان) فقد يفيد الانقطاع نحو (مات محمدٌ) ونحو قوله ﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ العنكبوت/٤٤، وقد يفيد التكرّر والاستمرار نحو ما ورد من ايات ارسال الرياح وانزال الغيث وهي احداث تتكرّر، مثل اية فاطر/٩، والمعنى العام والسياق يحددان زمن الفعل الماضي، (ينظر: معاني النحو ٢٩٦/٣).

(٣) سورة فاطر: الآية ٩.

(٤) سورة الانعام: الآية ٩٩.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٩٩/٧.

ولم يذكر الزمخشري معنى الالتفات في هذه الاية[١]، ولم يوردها ابن الأثير ضمن شواهده ولكنّ الحديث توجّه إليها لمشابهة الالتفات فيها مع ما جاء في آية فاطر.

وآية فاطر يستشهد بها البلاغيون أيضا على الانتقال من صيغة الغيبة إلى صيغة التكلم، فقوله تعالى (والله أرسل) بصيغة الغيبة، وقوله (فسقناه) بصيغة التكلم[٢].

٤- الانتقال من الفعل المضارع إلى الفعل الماضي:

بيّن ابن الأثير- رحمه الله- أنّ الإخبار بالفعل الماضي عن المضارع- إذا لم يوجد بعد- أبلغ والحد من الإبقاء على صيغة المضارع، وأعظم موقفا وأشرف شأنا، وعلل ذلك بأنّ الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووُجد وصار من الأمور المقطوع بها المحكوم بكونها وحدوثها، ويُخبر بالماضي عن المضارع اذا كان المضارع من الأشياء الهائلة التي لم توجد، والامور المتعاظمة التي لم تحدث، فيُجعل ذلك مما قد كان ووُجد ووقع الفراغ منه[٣].

فمن ذلك قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾[٤]، فقال (يُنفخ) بلفظ المضارع ثم قال (ففزع) بلفظ الماضي، وذلك

---

(١) ينظر: الكشاف: ٥١/٢.

(٢) ينظر: الايضاح: ٦٨ ؛ وينظر: عروس الافراح: ٢٨٢/١ ؛ وينظر: شرح عقود الجمان: ٩٣ ؛ وينظر: خصائص التراكيب: ٩٢.

وذكر الدكتور محمد محمد ابو موسى أن سبب الانتقال الى صيغة التكلم (فسقناه) دون (فساقه) هو أن المراد احداث الايقاظ واللفت الى هذا المقطع المهم من مقاطع المعنى؛ لأنّ سوق السحاب الى الأرض الميتة لتحيا من قسمة الارزاق، فناسب أن يُنقل الإسناد الى ضمير ذي الجلالة سبحانه، ولهذا المعنى أيضا لم يُسند الى الرياح على طريق المجاز كما في قوله (فتثير سحابا) لأنّ إثارة السحاب ليست في خطورة سوقها وتوجيهها نحو ما يشاء الله من عباده، ففي (سقناه) اشارة الى أنّ الله سبحانه يتولى سوق السحاب بذاته العلية ويقسمه رحمة ورزقا بيديه ولا يدع ذلك لأحد، ينظر: خصائص التراكيب: ٢٥٦.

وفيما قاله الدكتور نظر؛ لأن قوله (فتثير) حصل فيه التفات أيضا فهو وإن اسند الى الرياح مجازا لكنه مقطع مهم، ولولا أهميته لما حصل فيه التفات، ومن المعلوم أن سوق السحاب يتولاه ملك بأمر الله تعالى، لكن يمكن أن يقال: إن الالتفات في (فتثير) اشارة الى السبب، فلما علِق بالذهن حصل التفات آخر في (فسقناه) اشارة الى المسبب، وينظر: الكشاف ٥١٨/٢.

(٣) ينظر: الجامع الكبير: ١٠٣.

(٤) سورة النمل: الآية ٨٧.

للإشعار بتحقيق الفزع وثبوته وأنّه كائنٌ لا محالة، واقعٌ على أهلِ السموات والأرض، فالتعبير بالماضي يدلّ على وجود الفعل وكونه متطوعا به كما ذكر ابن الأثير، وهو عين ما ذكره الزمخشريّ في الكشاف[١]، وقال (يُنفخُ) بالبناء للمفعول للدلالة على أن هذا الحدث العظيم لا يقدر عليه إلا خالق عظيم فلم يُسند إلى لفظ الجلالة لأنه لا يدعيه أحد، فمن ذا الذي يدّعي النفخ في صورٍ عظيم يُفزعُ به من في السموات والأرض فزعا يتبعه الموت؟ ومثله قوله تعالى ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾[٢]، بالبناء للمفعول لأن هذه الامور العظيمة لا يقدر عليها الا قادر قاهر عظيم لا يدّعيها احد، فعدم الاسناد إلى الفاعل الحق في مثل هذه الامور الهائلة هو لتعظيم شأنه جلّ وعلا والدلالة على الجلال والكبرياء.

أما قوله تعالى (ففزع) بالبناء للفاعل لأنّ المقصود تحقيق الفزع واسناده إلى الخلق.

يقول الدكتور محمد محمد أبو موسى ((الماضي هنا يُخيّل أنّ الزمن قد طويَ وأنه قد فزِع من في السموات ومن في الأرض))[٣].

٥- **الانتقال من الفعل المضارع إلى فعل الأمر:**

بيّن ابنُ الأثير أنّ الانتقال من الفعل المضارع إلى فعل الامر يأتي في الكلام تعظيما لحال من أُجري عليه فعل الامر[٤]، فمن ذلك قوله ﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾[٥]، فقال أولا (أُشهدُ) بالمضارع ثم انتقل إلى الأمر فقال (واشهدوا) ولم يقل (واشهدكم) بصيغة المضارع حتى يكون موازنا للأول ولمعناه، والسبب في هذا الالتفات كما يقول ابن الأثير هو (أنّ إشهاد الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت في معنى يثبتُ التوحيد ويشدُّ معاقده، وأمّا إشهادهم فما هو إلا تهاونٌ بدينهم ودلالة قلة المبالاة بهم، ولذلك عدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الأمرِ.

(١) ينظر: الجامع الكبير: ١٠٤؛ وينظر: الكشاف: ٣٨٦/٣.

(٢) سورة هود: الآية ٤٤، وينظر: تفسير الآية في الكشاف: ٣٩٨/٢.

(٣) خصائص التراكيب: ٢٦٦.

(٤) ينظر: الجامع الكبير: ١٠١.

(٥) سورة هود: الآية ٥٤.

كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه[١]: إشهدْ عليّ أنّي أحبُّك، تهكما به واستهانة بحالة)[٢]، وما ذكره ابن الأثير هو عين عبارة الزمخشري في الكشاف[٣].

وزاد في مثله السائر صورة اخرى وهي (الانتقال من الفعل الماضي إلى فعل الأمر)، وتختلف عن السابقة بأن الغرض من الالتفات هنا هو (التوكيد) لما أُجري عليه فعل الأمر– كما يقول ابن الأثير– لمكان العناية بتحقيقه، أما السابقة فتأتي (تعظيما) لما أجري عليه فعل الأمر[٤].

فمن ذلك قوله تعالى ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[٥]، فقال أولا (أمر) بصيغة الماضي ثم انتقل إلى فعل الأمر فقال (وأقيموا) قال ابن الاثير [وكان تقدير الكلام: أمر ربي بالقسط وبإقامة وجوهكم عند كلّ مسجد، فعدل عن ذلك إلى فعل الأمر للعناية بتوكيده في نفوسهم، فإن الصلاة من أوكد فرائض الله على عباده، ثم اتبعها بالإخلاص الذي هو عمل القلب، إذ عمل الجوارح لا يصحُّ إلا بإخلاص النية، ولهذا قال النبي (ﷺ): (إنما الأعمال بالنيات)][٦]، وقال فخر الدين الرازي مؤولا ما ظاهره عطف فعل الأمر (وأقيموا) وهو إنشاء على الماضي (أمر) وهو خبر قائلا ((القائل أن يقول (أمرَ ربي بالقسط) خبر وقوله (وأقيموا وجوهكم) أمرٌ، وعطف الأمرِ على الخبر لا يجوز، وجوابه: التقديرُ: قُلْ أمر ربي بالقسط، وقل أقيموا وجوهكم عند كل مسجد))[٧].

٦- **الانتقال من صيغة التثنية إلى صيغة الجمع:**

قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٨]، فثنى أولا (تبوءا– لقومكما) ثم جمع (اجعلوا– بيوتكم– اقيموا) ثم أفرد (بشّر)، قال ابن الأثير((ألا ترى إلى هذا المعنى والتوسع في الكلام فإنّه نوَّع

---

(١) أي تقاطعا، وهو من المجاز كما في اساس البلاغة مادة (يبس): ٣٨٧/٢.

(٢) ينظر: الجامع الكبير: ١٠١

(٣) الكشاف: ٤٠٣/٢.

(٤) ينظر: المثل السائر: ١٨٠/٢.

(٥) سورة الاعراف: الآية ٢٩.

(٦) المثل السائر: ١٨٠/٢.

(٧) مفاتيح الغيب: ٢٢٦/١٤، التقدير الذي ذكره الرازي ذكره الزمخشري ايضا، غير أن عبارة الرازي أكثر بيانا لذا ذُكرت أعلاه، وينظر: الكشاف: ٩٩/٢.

(٨) سورة يونس: الآية ٨٧.

الخطاب فثنى ثم جمع ثم وحّد، فخاطب موسى وهارون عليهما السلام بالنبوة والاختيار وذلك ممّا يُعوّض إلى الأنبياء، ثم ساق الخطاب لهما ولقومهما باتخاذ المساجد وإقامة الصلاة كأنّ ذلك واجبٌ على الجمهور، ثم خصّ موسى (ﷺ) بالبشارة التي هي الغرض تعظيما له وتفخيما لأمره ولأنّه الرسول على الحقيقة))[١]، وهذه الفائدة اقتبسها ابن الأثير- رحمه الله- من كشاف الزمخشريّ[٢].

٧- الانتقال من صيغة الإفراد إلى صيغة الجمع:

نحو قوله تعالى حكاية عن حبيب النجار ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[٣]، فبدأ بصيغة الإفراد (ومالي لا أعبدُ الذي فطرني) ثم انتقل إلى صيغة الجمع (ترجعون)، قال ابن الأثير في بيان سبب الالتفات وفائدته ((وانما صرف الكلام من خطاب نفسه إلى خطابهم لأنّه أبرز الكلام لهم في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليلطف بهم ويداريهم، ولأنّ ذلك أدخلُ في إمحاض النصح، إذ لا يريد لهم إلا ما يُريد لنفسه وقد وضع قوله (وما لي لا أعبد الذي فطرني) مكان قوله: ومالكم لا تعبدون الذي فطركم، ألا ترى إلى قوله (وإليه ترجعون)، ولولا أنّه قصدَ ذلك لقال: الذي فطرني وإليه أرجعُ، وقد ساقه ذلك المساق إلى أنْ قال ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾[٤]، يريد: فاسمعوا قولي وأطيعوني، فقد نبّهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه لأنّ العبادة لا تصحُّ إلا لمن منه مبتدؤكم وإليه مرجعكم))[٥]، وما ذكره ابن الأثير- رحمه الله- هو عينُ ما ذكره الزمخشريّ- رحمه الله[٦].

ويذكر البلاغيون آية يس (ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون) ضمن صورة الالتفات من التكلم إلى الخطاب، فقوله (ومالي لا أعبد الذي فطرني) بصيغة التكلم، وقوله (وإليه ترجعون) بصيغة الخطاب[٧].

---

(١) الجامع الكبير: ١٠١.

(٢) ينظر: الكشاف: ٣٦٤/٢.

(٣) سورة يس: الآية ٢٢.

(٤) سورة يس: الآية ٢٥.

(٥) الجامع الكبير: ١٠٢.

(٦) ينظر: الكشاف: ١٠/٤.

(٧) ينظر: الايضاح ٦٨ ؛ وينظر: شرح عقود الجمان: ٩٣ ؛ وينظر: من بلاغة النظم العربي: ٢٠٤/١ ؛ وينظر: خصائص التراكيب: ٢٥١.

الإخبار بالفعل الماضي عن المضارع وبالفعل المضارع عن الماضي

هذا الإخبار قد يتضمّن التفاتا كالانتقال من صيغة فعلية إلى اخرى في جملتين مستقلتين وقد مضى الحديث عنه في الالتفات، وقد لا يتضمن التفاتا فينشأ في جملة واحدة ويُذكر احد الفعلين الآخر كما سيأتي الحديث عنه نحو قوله ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ ﴾[1]، فالفعل (أتى) بمعنى (يأتي)؛ لذا فكل التفات في صيغ الافعال يعدُّ إخبارا بأحدهما عن الاخر، ولا عكس.

ولمّا افرد ابن الأثير لهذا العنوان موضوعا جعله بعد الالتفات في جامعه الكبير وذكر شواهد فيها التفات وأخرى تخلو من الالتفات[2]، أمّا في مثله السائر فأدرج ما كان فيه التفات ضمن موضوع الالتفات ولم يُفرد للإخبار بأحد الفعلين عن الآخر موضوعا[3]، وما دام الكلام في الانتقال من صيغة فعلية إلى أخرى قد مضى في الالتفات، فالأولى ان يُفرد للإخبار بأحد الفعلين عن الآخر موضوعا لا يضمُّ التفاتا لتجنّب التكرار، خاصّة وقد اتّضح مفهوم الإخبار. فمثال الإخبار بالفعل الماضي عن المضارع قوله تعالى ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴾[4]، والكلام في شأن يوم القيامة وهو بمعنى ويبرزون لله تعالى يوم القيامة، لكنّه عبّر بالماضي (برزوا) دون المضارع (يبرزون)، قال ابن الأثير في بيان السبب ((وإنما جيء بلفظ الماضي لأنّ ما أخبر الله به لصدقه وصحّته كأنه قد كان وَوُجد))[5].

وهذه العبارة مقتبسة من كشّاف الزمخشري– رحمه الله– حيث ذكرها هنالك وبيّن أن لها نظائر ثم فسّر معنى البروز لله تعالى، قال: ((وإنما جيء بلفظ الماضي لأنّ ما أخبر به عز وعلا لصدقه كأنه قد كان ووجد، ونحوه ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ ﴾[6]، ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾[7]، ونظائر له، ومعنى بروزهم لله– والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يُبرز له– أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش، ويظنون أن ذلك خافٍ على الله، فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية، أو خرجوا من

(١) سورة النحل: الآية ١.
(٢) ينظر: الجامع الكبير: ١٠٢.
(٣) ينظر: المثل السائر: ١٨١/٢.
(٤) سورة ابراهيم: الآية ٢١.
(٥) الجامع الكبير: ١٠٤.
(٦) سورة الاعراف: الآية ٤٤.
(٧) سورة الاعراف: الآية ٥٠.

قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه))[١]، والكفار ينكرون البعث والحساب أصلا لذا كان التعبير بالماضي من الأهمية بمكان لتحقيق المعنى وكأنه فُرِغ منه.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[٢]، فقال (أتى) بالماضي وهو بمعنى (يأتي) وأمرُ الله عِقابه لمن اقام على الشرك وتكذيب رسوله كما قال القرطبيّ[٣].

وقال ابن الأثير ((وإنما حَسُنَ فيه لفظ الماضي (أتى) لصدقِ إتيان الأمر ودخوله في جملة ما لابدّ من حدوثه ووقوعه))[٤]، وقوله (فلا تستعجلوه) دليلٌ على أنّ المراد بـ(أتى) الاستقبال.

وأدرج ابن الأثير التعبير باسم المفعول عن الفعل المضارع هنا وقاسه على ما سبق، حيث رأى أن اسم المفعول اذا دلَّ على مضيّ وعبّر به عن مضارع لم يقع بعدُ كان بمنزلة التعبير بالماضي لأنّ اسم المفعول تضمّنه معنى، وعبارته هي: ((ومما ينخرط في هذا السلك الاخبار باسم المفعول عن الفعل المضارع، وانما فُعل ذلك لتضمّنه معنى الفعل الماضي))[٥]، وذلك نحول قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾[٦]، واليوم المجموع له الناس هو يوم القيامة، وقد دلَّ عليه قوله (عذاب الاخرة). فقال (مجموع) بصيغة اسم المفعول، وهو يتضمن هنا– كما يرى ابن الأثير– معنى المضيّ، لذا جاء (مجموع) مكان الفعل المضارع (يُجمعُ)، لأنّ الماضي اذا عُبّر به عن المضارع دلّ على أنّ المعنى كأنما وقع وصار مقطوعا به كما تقدّم، وقد اعتمد الزركشيّ هذا الرأي في برهانه[٧].

وقال ابن الأثير (فإنّه إنما آثر اسم المفعول هاهنا على الفعل المضارع لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم، فإنه لابدّ من أن يكون ميعادا مضروبا يجمع الناس وأنّه

---

(١) الكشاف: ٥٤٨/٢.

(٢) سورة النحل: الآية ١.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القران لمحمد بن احمد القرطبي: ٦٥/١٠، تحقيق: احمد البردوني وابراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.

(٤) الجامع الكبير: ١٠٤.

(٥) المصدر نفسه: ١٠٥.

(٦) سورة هود: الآية ١٠٣.

(٧) ينظر: البرهان: ٨٥٩.

موصوف بهذه الصفة، وإنْ شئت فوازن بينه وبين قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾[1]، فإنّك تعثر على صحّة ما قلتُ)[2]. فثبات معنى الجمع لليوم مستفادٌ من معنى المضيّ الذي تضمّنه اسم المفعول (مجموع).

ولكنْ لا دليل على أن معنى اسم المفعول في الآية تضمن معنى المضيّ فصار سببا للتعبير به عن الفعل المضارع، ولا ينبغي قياسه على ما مضى من قوله تعالى (وبرزا لله جميعا) او قوله (أتى امر الله فلا تستعجلوه) لأنّ (برزوا) و (أتى) وردا بصيغة المضيّ في احداث لم تقع بعدُ، أما (مجموع) فليس كذلك، وصَرْفُهُ عمّا يدلُّ عليه ظاهر السياق من الدلالة على الاستقبال إلى زمن اخر وهو المضيّ مما يقتضي دليلا، لأنّ اسم المفعول يحتمل الأزمنة الثلاثة حاله كحال اسم الفاعل، فلابدّ لتعيين احدها من قرينة أو إعانة من السياق، والسياق في الآية يدل على الاستقبال بشكل صريح لا على تضمن معنى المضي، ومثال ما دلَّ على المضي من اسم المفعول قوله تعالى ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾[3]، فـ(مسمى) اسم مفعول دالٌ على المضي لأنّ الله تعالى قد سمّى هذا الأجل وقدّره في سابق الأزل[4]، لذا مع خلوّ آية هود من القرينة الدالة على المضيّ لا ينبغي أن يقال إن لفظ (مجموع) يدل على المضيّ، ولابن الأثير غُنية عمّا تكلّفه– رحمه الله– وذلك أن يقال إنّ الاسم يدلُّ على الثبوت بخلاف الفعل، فعبّر باسم المفعول في الآية لبيان ثبات معنى الجمع بخلاف مالو قال (يُجمع) بالفعل المضارع، فالأولى أن يبقى معنى (مجموع) دالا على الاستقبال لأنه في سياق الحديث عن يوم القيامة.

وما ذكره ابن الأثير من فائدة التعبير باسم المفعول عن الفعل في الآية اقتبسه من كشاف الزمخشري إلا أن الزمخشري– رحمه الله– لم يصرّح بأن لفظ (مجموع) يتضمّن معنى المضيّ، وعبارته هي: ((فإنْ قلت: لأيّ فائدة أوثر اسم المفعول على فعله؟ قلتُ لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنّه لابدّ من أن يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وأنه الموصوف بهذه الصفة، وهو أثبت أيضا لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا

---

(١) سورة التغابن: الآية ٩.

(٢) الجامع الكبير: ١٠٥.

(٣) سورة الرعد: الآية ٢.

(٤) ينظر: دلالات اسم المفعول في كتاب (إعجاز القرآن والدلالات الصرفية) للدكتور يوسف المرعشلي: ٥٩، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠١١م ؛ وينظر: معاني الأبنية: ٥٠ ؛ وينظر: شرح ابن عقيل: ١١٣/٢؛ وينظر: شرح الأشموني: ٢٢٩/٢ ؛ وينظر: معاني النحو: ١٤٩/٣.

ينفكّون منه، ونظيره قول المتهدّد: إنك لمنهوب مالك، محروبٌ قومُك، فيه من تمكّن الوصفِ وثباته ما ليس في الفعل، وإنْ شئت فوازن بينه وبين قوله ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾[١]، تعثر على صحة ما قلتُ لك))[٢].

أما الإخبار بالفعل المضارع عن الماضي ممّا ليس فيه التفات فلم يذكر له ابنُ الأثير شاهدا، إنما ذكر شواهد له تندرج ضمن الالتفات كقوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾[٣]، وقوله عز وجل ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾[٤]، وتقدم الحديث عن الآيتين في الالتفات.

وذكر الزركشيُّ في البرهان شواهد من القرآن الكريم للإخبار بالمضارع عن الماضي خالية من الالتفات نحو قوله تعالى ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾[٥]، فقال (تتلوا) بالمضارع والمعنى (تلت) بالماضي وذلك لاستحضار تلك الصورة وكأنها مشاهدة.

ونحو قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾[٦]، فقال (نعلم) بالمضارع والمعنى (علمنا) بالماضي، و(قد) الداخلة على المضارع (نعلم) ليست للتقليل لأنّ المضارع هنا بمعنى المضيّ فهي للتحقيق[٧].

(١) سورة التغابن: الآية ٩.
(٢) الكشاف: ٤٢٧/٢.
(٣) سورة فاطر: الآية ٩.
(٤) سورة الحج: الآية ٦٣.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٠٢.
(٦) سورة الحجر: الآية ٩٧.
(٧) ينظر: البرهان: ٨٥٧.

ثبت المصادر

- الاعلام لخير الدين محمود بن محمد الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م .
- الاكسير في علم التفسير لسليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق: الدكتور عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ب، ت.
- الايضاح في علوم البلاغة لمحمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠١٠م
- البرهان في وجوه البيان لإسحق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب، تحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثة، بغداد، ١٩٦٧م
- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المعروف اختصارا بـ (التحرير والتنوير)، الدار التونسية: تونس، ١٩٨٤م.
- الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن احمد القرطبي، تحقيق: احمد البردوني وابراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: للسيد احمد الهاشمي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م .
- دلالات اسم المفعول في كتاب (إعجاز القرآن والدلالات الصرفية) للدكتور يوسف المرعشلي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠١١م
- ديوان علقمة بن عَبّدة (علقمة الفحل)، تحقيق: السيد احمد: قر، المطبعة المحمودية، القاهرة، ط١، ١٩٣٥م.
- ديوان ليلى الاخيلية، جمع وتحقيق خليل ابراهيم العطية وجليل ابراهيم العطية، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٧م.
- شذرات الذهب في اخبار من ذهب لابن العماد بن الحي بن احمد الحنبلي، تحقيق محمود الارناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٩٨٦م.
- شرح عقود الجمان في المعاني والبيان لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، تحقيق: الدكتور ابراهيم محمد الحمداني والدكتور امين لقمان الحبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١١م.
- الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الايجاز ليحيى بن حمزة العلوي، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين احمد بن علي السبكي، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، ط١، ٢٠٠٣م

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لجار الله محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، د، ت.
- المطوّل في شرح تلخيص مفتاح العلوم لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠١٣م
- مفاتيح الغيب لمحمد بن عمر فخر الدين الرازي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- معجم المصطلحات البلاغية للدكتور احمد مطلوب، الدار العربية، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.
- مفتاح العلوم ليوسف بن ابي بكر السكاكي، تحقيق: الدكتور عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م
- من بلاغة النظم العربي للدكتور عبد العزيز عبد المعطي عرفة، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
- نهاية الايجاز في دراية الاعجاز لفخر الدين محمد بن عمر الرازي: مطبعة الآداب، القاهرة، ١٣١٧هـ.
- النوادر لأبي زيد سعيد بن أوس، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٦٧م.